ناهض منير الريس

# ماذا جرى في غزة ؟

## انقلاب أم ثورة .. !؟

الحقيقة أولا .. الحقيقة للجميع .. الحقيقة ولو خالفتها الدعايات الكثيفة ..
الحقيقة من أجل التاريخ والحاضر والمستقبل .. الحقيقة لوجه الله الحق

ناهض منير الريس

# ماذا جرى في غزة ؟

## انقلاب أم ثورة .. !؟

الحقيقة أولا .. الحقيقة للجميع .. الحقيقة ولو خالفتها الدعايات الكثيفة .. الحقيقة من أجل التاريخ والحاضر والمستقبل .. الحقيقة لوجه الله الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

# برج الورق

عام كامل مضى على سقوط برج الورق الذي بني على أساس أن يكون قلعة من الخرسانة المسلحة ! فقد صمم مخططوه هندسة المبنى بمعرفتهم ، ووافقوا على هيكلية الأقسام الوظيفية ، وإذا بغزة تشهد قيام بناء جديد في منطقة تل الهوا في الجزء الجنوبي الغربي من غزة ، بعيدا عن ( السرايا ) التي لم يعرف الناس من قبل غيرها مقرا للشرطة وللسجن منذ زمن الانتداب البريطاني . وقد أقيم هذا المبنى الجديد خصيصا للأمن الوقائي ، وزود في زواياه بأبراج مراقبة عالية على غرار ما يفعل الإسرائيليون في منشآتهم الأمنية . ولم يفهم غالبية الناس في بداية الأمر لماذا أنشيء هذا البناء . ولكن الأسلوب الذي اتبع في بناء أبراجه عاليا على الزوايا استدعى إلى الأذهان مقارنة الشبيه . أما الذين مولوا بناءه فقد راقبوا باهتمام ما حسبوه قلعة . وأكثروا من زيارته سرا ، شهرا بعد شهر ، وهو ينمو ويقيم فروعا له في أنحاء قطاع غزة . ووضعوا تحت يديه المال والتسهيلات والتوجيهات ليتمكن من تنفيذ الدور الموكل إليه ، وهو أن يكون مشروعا فلسطينيا للأمن بمعناه الإسرائيلي مفتوحا على الأجهزة السرية الإسرائيلية ، وراقبوا الطواقم المؤسسة وهي تنجح في تشكيل شبكة كاملة من المخبرين في أوساط الرجال والنساء .. ومن العملاء المنتشرين في أجهزة أمنية أخرى .. ومن بعض ضباط وجنود الأمن الوطني .. وبعض كبار الموظفين في الوزارات والإدارات والمصالح .. وبعض المخاتير والوجهاء .. وأشقياء الحارات .. واللصوص الأكثر جرأة على الدم .. وبعض التجار وأصحاب المصالح .. وبعض أعضاء المرجعية الحركية .. وبعض أعضاء المجلس التشريعي ، ثم بعض الوزراء .. وجمعيات وأندية وهيئات مجتمع مدني شكلوها على عجل .. الأمر الذي أدهش الإسرائيليين أنفسهم وجعلهم يشعرون بالسرور لأن النطاق الذي توسع فيه المشروع كان أكبر مما ذهب إليه خيالهم .



## سم الاعتقالات في كوب التهاني

وربما كانت ( المهمة ) المطلوبة من الأمن الوقائي في البدايات مجرد إمداد الأجهزة السرية الأمريكية والإسرائيلية بالتقارير التي تتحدث عن حركة المجتمع الفلسطيني إجمالا وتفصيلا ، لا سيما حركة الإسلاميين ومنظمات المقاومة الإسلامية . وكان متاحا لضباط المخابرات الإسرائيلية أن يشاركوا في التحقيقات التي تجري مع المعتقلين داخل تلك ( القلعة ) أثناء موجة الاعتقالات التي أعقبت انتخاب المجلس التشريعي وتزامنت مع بدء ولايته كأنما كان مخططا ــ ويا للعجب ــ أن يتجرع الناس سم الاعتقالات الكيفية الواسعة في كوب التهاني بولادة مجلسهم التشريعي . وقد أقيمت شبكة كمبيوتر ذات كفاءة تقنية عالية تصل ما بين الممول الخارجي وبين الذين استخدمهم واعتمد عليهم لتوريد الإخباريات ، باستعمال التكنولوجيا الكمبيوترية والإنترنت أولا بأول .

ولكن الأمور تطورت .. وبسرعة كبيرة . فلما خيل للمخططين أصحاب المصلحة أن هذا الجهاز قد انفرد بالبلد فعلا دون أن يعترض طريقه أحد ، ومارس الاعتقال والتعذيب وجمع المعلومات بقسوة ، وظل مسؤولا وصاحب مرجعية بل ازداد قوة وجبروتا واحتكارا لمظهر القوة .. حتى عندما انتهز الإسرائيليون الظرف لتحريك حرب داخلية قوامها عمليات التفلت والفلتان والانفلات والخطف والقتل وفرض الخاوات بواسطة عناصر العملاء ، بغية جعل البلد مكانا كريها وساحة آمنة للعصابات وغير آمنة للشعب ، وبقصد ضرب الصمود والروح المعنوية ، ولتشجيع الرحيل من البلاد ، فإن ( المهمة ) التي لم يحلم بها الأمريكيون والإسرائيليون من قبل بدت ممكنة جدا : وهي أن يتحول هذا الجهاز ويصبح حكومة رسمية ــ في قطاع غزة إن لم يكن في الضفة أيضا ــ . وما المانع ؟ فكل شيء ممكن في بلاد العرب . وكل رأس له ثمن في نظر المخططين الاستراتيجيين !

وهكذا في العادة يتجسد الغباء الاستعماري في كل مكان : من مزيج من اغترار المخططين الأجانب بأحكامهم وتدابيرهم وأجرائهم ، ومن احتقارهم للشعوب

وعقولها حتى استهانوا بذكائها وقدراتها وسلطوا عليها من بين ظهرانيها صبيانا فهلوية مجانين سلطة ومال عديمي أخلاق .

## الناس كانوا يعرفون

وكل أهالي قطاع غزة كانوا على علم بحقيقة هؤلاء الناس المفروضين على الوضع فرضا . والبعض كانوا يظنون أنهم مفروضون حتى على الرئيس ياسر عرفات نفسه الذي لم يكن بمنجاة من تطاولاتهم عليه رغم أنه ولي نعمتهم . وقد حاولوا في الوقت ذاته الذي كانوا فيه غارقين إلى الركب في ( التنسيق الأمني ) أن يلبسوا تارة رداء دعاة الإصلاح ، ( وذلك بعد مبادرتنا لرفع الصوت عاليا بضرورة الإصلاح الذي لم يكن له معنى إلا التخلص من هذا الورم السرطاني أو على الأقل الحد من تغولهم على الحياة بجميع ألوانها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ) ويلبسوا تارة أخرى لباس الساهرين على مصالح الناس على اختلافها : من تجار ورجال أعمال مستوردين أو مصدرين أو مقاولين .. ومن مناضلين سابقين تقطعت بهم السبل ويريدون العودة للقطاع عودة مشروطة بعدم قيامهم بالأنشطة العسكرية ومن أسرى محررين لم يحصلوا على وظيفة بعد .. ومن مخاتير ووجهاء يريدون حظوة ترفع درجاتهم في موسم السباق نحو الكسب بأنواعه .. الخ .. بل ووقف في طابور أصحاب الحاجات أساتذة جامعيون طامحون إلى مناصب سياسية وأصحاب أقلام مستعدون لتحرير صحف في خدمة مشروع المافيا ورجال ونساء المافيا .. لقد استطاعت مؤسسة الفساد تلويث شريحة واسعة من الناس الذين لم يستعملوا ضميرهم جيدا في علاقتهم بهذه البؤرة على اساس أنها ذات مظهر فلسطيني ، وهي توفر فرصا لا يوفرها أحد في التوظيف والدعم والتلويح بمستقبل زاهر للطموحين ، في زمن شحت فيه الوظائف والفرص وبات الوطن على كف عفريت . وخلال هذا النشاط الواسع في ممارسة علاقات عامة نفعية ، كان هؤلاء الذين برزوا في مظهر القادة ينفثون في مجالسهم وأوساطهم أفكارا سياسية فحواها حتمية التنسيق مع الإسرائيليين وفي الوقت نفسه يوجهون حملاتهم ضد حماس وإيران وحزب الله بدعوى أن المعركة الدائرة بين إيران وأمريكا لا تعنينا ودعوى أن الأمور ليست كما تبدو للوهلة الأولى فالذين



يطلقون الصواريخ ( التافهة ) نحو إسرائيل يخدمون إسرائيل عن علم أو عن جهل فهم في خدمة العدو وضد المصلحة الفلسطينية وضد المشروع الفلسطيني في جميع الأحوال!

لقد أصبح الفساد في قطاع غزة ( مؤسسة مزدهرة ) ، حتى إنها لم تنس رعاية أعمال خيرية كالجمعيات التي توزع كوبونات التموين على الأنصار وكالمستشفيات التي تتقاضى رسوما رمزية .. ولم يعجزوا عن الحصول من بعض الأثرياء النفطيين الذين تلقوا توصيات من الأمريكيين برعايتهم فصار لهم دالة عليهم ليقوموا بتمويل أنشطتهم هذه .. وأحيانا كانوا يقطعون الطريق على مساعدات قادمة من الخليج عبر قنوات سليمة نظيفة فيلفقون ضدها تقارير متعددة النسخ كما هي عادتهم تتهم نشاط تلك القنوات النظيفة بأنه يخدم الإرهاب ويمول حماس ! وذلك بغرض تحويل التمويل إلى جيوبهم .

## أخطر ما حدث

صارت غزة بلدا لا يطاق . وكان أخطر ما يجري على أيدي هؤلاء العسكر الصغار الأشبه بمماليك زمن الانحطاط هو تعميم النموذج السلوكي والقيمي السائد لديهم والسهر على تغلغله في أصغر خلايا المجتمع ، وذلك من خلال صيغة تحالف ضمني مع أشقياء الحارات والعائلات والعشائر ، يقوم على مقايضة الحماية التي يوفرها الجهاز لأعمال البلطجة والخروج على القانون وفرض ( الخاوات ) مقابل الولاء للجهاز وقيادة الجهاز والقيام عند اللزوم بخدمات متنوعة وبعمليات معينة قد تصل إلى قتل خصوم معينين .

من هنا صار أشقياء وبلطجية الحارات الذين امتلأت جيوبهم بالمال فما زادهم ذلك إلا جشعا ، والذين يحسون أن الزمن زمنهم وأنهم منسجمون معه وأنه منسجم معهم ، أقول : صاروا يذرعون البلد طولا وعرضا في سيارات رباعية الدفع منحهم إياها الجهاز ، وهم يدفعون صدورهم للأمام ويصعرون خدهم للناس ويمشون في الأرض نزقا . وبات الذين يُعرفون بأنهم أعضاء فرقة الموت هم المثل الأعلى لهؤلاء ( الناشئين ) ، يتقرب هؤلاء إليهم بالقربات ويعرضون عليهم الخدمات . ولم تبق لسائر الناس العاديين صفة إلا صفة كونهم ضحايا منتظرين

واحتياطيا مدخرا لإيقاع الأذى عليه وامتصاص دمه كلما بدا أن في يده ثروة للنهب أو على الأقل لإجباره على دفع ( الخاوة ) دوريا .

في ذلك الوقت فوجئ عربجية وأشقياء حارات وزعران عشائر وعائلات بأن رقم المليون دولار ليس ذلك المطلب الخيالي بعيد المنال الذي يراود الإنسان في الأحلام ، ولكنه واقع ملموس حققه البعض في قطاع غزة بخبطة أو خبطتين وما زال الباب مفتوحا للزعران . وشهدت غزة داخل بعض أحياء المدينة حركة ملحوظة في أوساطهم وأعمال قطع طريق على سيارات عابرة أو بضائع منقولة داخل بعض الأحياء . وشهد التجار دخول أولاد مدمنين إلى محلاتهم وبيدهم مشارط حادة مستعدين لفعل أي شيء من أجل الحصول على الجرعة . وشهدت بعض المدارس اقتحام بعض الآباء الغاضبين غرفة الناظر لأن ولي العهد المحروس لم ينجح في صفه لأن معلم الصف يناصبه العداء وقد حضر الوالد القبضاي ابن الحمولة ليعلم المعلم درسا لا ينساه .

## موسم ( الطوشات )

كثرت الظواهر التي دلت على ( تعميم ) نموذج البلطجة وصبغت بصبغتها عادة من العادات القديمة الباطلة التي انبعثت من البلى مجددا : وهي المشاجرات بين العائلات . فقد تجددت واكتسبت أساليب عنف ودرجات عنف مبالغا فيها . ففي ذلك العهد انتشرت ( الطوشات ) العائلية انتشارا غير مسبوق حتى في زمن الاحتلال نفسه الذي كان يشجعها كما يشجع نشاط اللصوص على يد (مصليح) المعروف لأهل غزة . وكان المتشاجرون في الحارات قديما يستخدمون العصي والنبابيت والخناجر أما في زمن الأمن الوقائي بغزة فصار بوسع ابن العائلة المنتسب إلى جهاز من الأجهزة أن يستخدم بندقيته الآلية على راحته مستخدما ما يشتهي من ذخائر جهازه . وكان بوسع أبناء عمومته أيضا أن يستعيروا سلاحه وذخيرته . بل إن الوقائي قام في إحدى المراحل بتسليح بعض العائلات واستمر بحثه عن عائلات أخرى لشراء ولائها . وكم من مشاجرة بين عائلتين في حارة أو مخيم أوقعت قتلى وجرحى ومصابين . ثم كانت العائلتان في كثير من الأحيان ترافق كل منهما مصابيها إلى المستشفى . وهناك تتجدد المعارك الدامية في ساحة



المستشفى على مسمع المرضى .. ولم يكن نادرا أن ( يتمرد ) النماريد على الأطباء المسعفين في غرف الاستقبال ويهددونهم بالويل والثبور إذا لم يجعلوا الأولوية المطلقة والعناية الفائقة لمصابهم الغالي لا لمصاب ( الأعداء ) .

من هنا أتساءل : لأي شيء يثور الناس إن لم يثوروا بسبب المساس بأرضهم وعرضهم وأمنهم ؟ ألا تكون الثورة مفهومة إلا إذا جرى المساس برغيف الخبز ؟ وهل بالخبز وحده يحيا الإنسان !؟

# المخدر وديمقراطية الحزب الواحد

كنا نرى إمارات واضحة منذ السنة الأولى للمجلس التشريعي( عام١٩٩٦) تدل أننا نتحول إلى دولة بوليسية ، وأن الأمن الوقائي هو التعبير الأوضح والأخطر عن هذه الحقيقة . وأدعي أنني قد جاهرت بذلك وحذرت منه وأنا في مقعد النائب الأول لرئيس المجلس . وأتذكر أن صحفيا أمريكيا اتصل بي عقب هذه المداخلة راغبا في لقائي ليسمع المزيد فلم أقبل ذلك وقلت في نفسي ليس المنبر الأمريكي منبري . وقد تمنيت أن يقوم المجلس التشريعي بواجب الثورة على هذا الانحراف التأسيسي وعلى ظهور بؤرة طغيان لا سبيل إلى تجاهلها تتحدى المؤسسة التشريعية المنوط بها هندسة التكوين الأساسي لهذه السلطة التي يجب أن تكون ترجمانا أمينا عن الأهداف التي قضى الشهداء وهم يلهجون بها فعلا ، لكي نسير نحو مستقبل يساوي التضحيات . وتمنيت أن تلتف الفصائل الفلسطينية حول المجلس لهذه الغاية وأن ترى في تصحيح مسار هذا الجهاز وإخضاع الأجهزة الأمنية لرقابة المجلس واجبا من أول واجباتها في هذا الدور من أدوار القضية الفلسطينية.

## نمط سعد حداد

ولكن االطريقة التي تشكلت بها مملكة الوقائي ، والإمكانيات التي وضعت تحت تصرفها ، والغطاء الهام الذي استخدمته بادعائها أنها ملاذ صقور فتح والمطاردين أيام الاحتلال ، وأنها ممثلتهم التي تتبنى مطالبهم ومصالحهم أمام أبو عمار وغيره ، وأنها الموكل إليها أمر رعايتهم في العهد الجديد وتأمينهم من انتقام الإسرائيليين .. كل ذلك خولها صفة وسلطة ليست لأحد . وفي إطار التعاون المشترك بين الأجهزة الأمريكية والإسرائيلية تم اعتماد المسؤول الأول لهذه المؤسسة ونائبه من شريحة مفضلة لديهم تذكرنا بنمط سعد حداد وأنطوان لحد اللذين احتاجت إلى أمثالهما استراتيجية بن غوريون في خمسينيات القرن الماضي : إذ كان وهو في



معتزله بسدي بوكر في النقب يفكر في دولة عميلة تكون ملاصقة لإسرائيل وتنوب عنها في تنظيف إقليمها من ( الفدائيين ) الذين لم تتوقف المنطقة عن ولادتهم منذ طرد اللاجئين الفلسطينيين من وطنهم . واستمر موشيه دايان تلميذ بن غوريون يعبر عن الحاجة إلى ضابط ولو برتبة رائد في لبنان يقوم بهذه المهمة .

كانت فكرة إيجاد دولة بوليسية فاسدة في قطاع غزة ، تصبح بديلة للدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع ، فكرة مغرية . وعندما وجدوا لها الضابط المطلوب ، شرعوا في تنفيذها .

وأمام المظلة الصهيو ــ أمريكية التي أظلت هذا المشروع ، وأمام الأسلوب البراغماتي الذي انتهجه الرئيس الراحل ياسر عرفات في إدارة السلطة الوطنية الفلسطينية وعبر عنه بلسانه شخصيا حين قال في بعض جلساته الحميمة إنه سيعبر مستنقعات عدة وأنه بحاجة إلى ( جزم كاوتش ) للعبور ثم سيخلعها .

وأمام حالة الغيبوبة التي دخلت فيها حركة فتح متأثرة بمخدر اسمه السلطة والمنصب ، وأمام عجز ديمقراطية الحزب الواحد الوليدة عن فرض إرادتها على الرئيس ، فما الذي كان قادرا على وقف هذه الظاهرة العسكرية ــ المخابراتية ــ التجارية ــ المدعومة دوليا التي شكلها الأمن الوقائي في قطاع غزة في الفترة بين عام ١٩٩٤ وعام ٢٠٠٧ .

صحيح أنه ثبت في ساعة الحسم أن ظاهرة الوقائي كانت نمرا من ورق وكانت بنيتها القيادية بنية تجار حرب وأثرياء حرب مستعدين لحزم حقائبهم وللسفر وراء ملايينهم التي حولوها إلى بنوك بالخارج . وكانت بنيتها القاعدية بنية مواطنين فلسطينيين باحثين عن وظيفة ومستقبل واستقرار بعد زوال الاحتلال ولكنهم يظلون في جميع الأحوال وطنيين فلسطينيين .

## شجرة منخورة بالسوس

لقد كان لا بد من قوة حقيقية تهز أصل الشجرة المنخورة بالسوس وتلاحق جذورها التي ما زالت قائمة ولم تعرف ــ ربما حتى اليوم ــ أنها كانت تغذي كيانا فاسدا . فالفاسدون كانوا قلة تعمل عملها المنكر في الخفاء . وإذا كانت بعض أسرارها المشينة قد تسربت إلى القاعدة فلم يكن هناك ( مستمسكات محسوسة )

تؤكد تلك الفضائح التي تسربت . هذا شيء . والشيء الأهم أن جميع مراكز السلطة المسؤولة أو أجهزة الإعلام التي توحي بالشرعية وتحيط الشخصيات بالهالة التي تؤثر في الرأي العام قد ساهمت بقدر أو بآخر في تلميع وتبييض أولئك الذين كان يجب أن يوضعوا في القفص . ولم يعد نادرا أن تجدهم يطلون عليك صباحا بصور منتقاة لهم على الصفحات الأولى من بعض الصحف الأوسع انتشارا . وقد يطلون عليك مساء من خلال بعض القنوات الفضائية . وقد تراهم يرافقون الرئيس في جولات خليجية . والحق أن هذه الأمور مجتمعة قد ولدت شيئا مؤسفا آخر لا بد من الاعتراف به ، وهو أن شريحة متزايدة من ( المستخدمين ) قد تلوثت تدريجيا وقبلت من أجل أن تحافظ على لقمة عيشها أن تتعايش مع واقع صارت ( الخيانة فيه وجهة نظر ) .

ونشبت معارك عديدة في الشوارع بين الأجهزة الأمنية بسبب الصراع على السلطة أو المال أو الأراضي أو الأفراد . واهتزأ التوازن الذي كان الرئيس عرفات رحمه الله قد أقامه بين الأجهزة الأمنية . ولم يكن الرئيس في الأصل يرى خطرا في معارك الأجهزة المتوازية التي أراد تعددها سببا لكي لا يستقوي أحد بعينه على الرئيس . وأراد قواها متقاربة لحفظ التوازن بينها . وكان طبيعيا في حال كهذه أن ينخرط الجميع في صراع ضد الجميع . ولكن مرجعيتهم في آخر الليل إلى الرئيس . وكانت ثقته المطلقة بنفسه وغفلته عن أنه شخصيا معرض للضعف من بعد قوة ، تبعد عن خاطره أمرين وردا بعد قليل : الأول أن يتمرد أحد عليه شخصيا ، والثاني أن تلعب إسرائيل وحدها في الوضع الداخلي وتلقي بثقلها لصالح أحد الأطراف بما يخل بالموازنة . وكان مؤمنا بأنه الأقوى في المعادلات جميعا وأنه إذا سحب غطاءه عن أي طرف فسيتركه عاريا تأكله الضواري .

أما حركة فتح التي كان كل شيء يجري باسمها وتحت لافتتها وباستثمار تاريخها ودم شهدائها فكانت قد دخلت في حالة من فقدان الوعي وفقدان الإرادة . وكان رجالاتها الذين يعول عليهم قد استلموا الحكم والوظائف الكبرى واشتغلوا بها وانشغلوا عما عداها تقريبا . ولم يكن المجلس الثوري الذي هو الهيئة التشريعية



الوسيطة في غياب المؤتمر الحركي العام إلا طاقم الحكام بذاته . وعموما لم يكدر أحد من مكتب أمانة المجلس الثوري صفو الأمن الوقائي أثناء تمدده وتغوله على الجميع . وكان الرئيس عرفات رحمه الله قد عمد منذ بداية عهد السلطة الوطنية إلى اعتماد أسلوب تعيين (( مرجعية حركية )) بديلا عن الانتخابات الحركية على مستوى القواعد للوصول إلى قيادة إقليم منتخبة ، ومنذ ذلك الحين قنع مكتب أمانة سر المجلس الثوري ــ ومقره غزة ويا للعجب ــ بدور استشاري بشأن قيادة المرجعية الحركية في قطاع غزة . وقد تشكلت المرجعية الحركية أولا من أفراد يغلب عليهم رجال الرئيس . ولكن ازدياد الرئيس ضعفا وازدياد الوقائي ورموزه قوة أدى إلى تغول الوقائي على التركيبة التي وضعها الرئيس والتي ظن أنه يحقق بها التوازن بين القوى الكائنة على الأرض والاحتفاظ بالخيوط في يده . فبدأ رجال الوقائي بتقليص صلاحيات رجال الرئيس ولم ينتهوا إلا بتجريدهم من الصلاحيات .

## قيادة الحركة = قيادة الوقائي

وفي خطوة تالية أصبحت قيادة المرجعية الحركية عمليا هي ذاتها قيادة الوقائي بشخوصها إياهم . وإذا وجد هناك غيرهم فإنهم لم يكونوا كتلة واحدة في مواجهة كتلة الوقائي التي اقتحمت المكان وهي تعرف ما تريد . ولم يشعر أمين سر المجلس الثوري بأية مسؤولية في التصدي لهذه الظاهرة ، ولم يرغب في اكتساب عداوة أحد . ولم يتحرك قط على مستوى القواعد الحركية . أي أن المجلس الثوري الذي وقعت المسؤولية على عاتقه في غياب المؤتمر العام أصبح بلا قيادة ، وصار كالمجلس التشريعي : بإمكانه أن يصدر ما شاء من التوصيات والقرارات الجيدة إنشائيا والبعيدة عن التأثير في مجريات الأمور تنفيذيا . وفقد دوره الرقابي ، وصار شاهد زور.

أما اللجنة المركزية الحركية فكانت غائبة عن الوضع التنظيمي غيابا مزمنا شبه كامل . ولا يبدو أنها فكرت فيما يحدث في قطاع غزة إلا من خلال خوفها على الحركة من حماس . فلم تر بالتالي ضيرا ولا ضررا في تمدد الوقائي ورموزه ، على اعتبار أنه يظل فتحاويا على كل حال وضمانة في وجه تمدد حماس . ولم

يتغير هذا الموقف حتى عندما شتم صبية الوقائي في خانيونس ثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية هم هاني الحسن وعباس زكي وصخر حبش في مظاهرة ومسيرة لم يكن أي من السائرين فيها يعرف من هي هذه الأسماء وماذا تشتغل وما تاريخها .. لقد كانت الوقاحة والافتراء وسلاطة اللسان سمة بارزة من سمات الذين يقفون من وراء أولئك الزعران وكانت خشية كل من أعضاء القيادة على نفسه سمة بارزة من سماتهم .

لم تكن هناك وسيلة من داخل حركة فتح للحد من هذا الانقلاب الصامت الذي نفذه الوقائي على مراحل للإمسك بزمام كل شيء : رئاسة المجلس التشريعي ، والمناصب المفتاحية في الوزارات ، وحركة التجارة في البلد ، والشخصيات الفعالة في الأجهزة الأمنية الأخرى ، والقيادة الإقليمية لحركة فتح في قطاع غزة ، وقيادة الأمن الوطني ، ثم رئاسة القناة الفضائية الفلسطينية والتلفزيون .

بدا أن كل يوم يمر كان يضيف على السطح قوة إلى قوة هذه ( الشركة الخاصة ) بقيادة أعجوبة اسمها دحلان . وبات هناك من يرشحونه لمنصب نائب الرئيس ويقولون : إنها مسألة وقت . بل ذهب بعض الذين يحسبون إرادة أمريكا قدرا مقدورا لا بد آت للقول إن إسرائيل ستساعده في الحصول على منصب الرئاسة نفسه . وعلى حين غرة ، وكما يقول الشاعر ( وعند صفو الليالي يحدث الكدر ) نزل على رأس عصابة المافيا جردل الماء البارد وجاء فوز حماس بغالبية مقاعد المجلس التشريعي في انتخابات ٢٠٠٦ ، ليقلب المعادلة رأسا على عقب ويوجه ضربة قاصمة للقصور التي أقاموها شاهقة في الهواء حتى ارتفاع ناطحات السحاب ثم هوت إلى التراب . وتلك كانت مفاجأة كبرى ، حتى بالنسبة إلى حماس ويومها قاد دحلان مسيرة إلى بيت الرئيس عباس في الرمال الجنوبي تصرخ : لا لحماس . ومسيرة أخرى في ساحة المجلس التشريعي تصرخ : لا لحماس . وتصريحات للصحفيين تقول : لن نشارك أبدا في وزارة واحدة مع حماس . ولن تبقى حماس في السلطة أكثر من ثلاثة أشهر . وبعد شهور قليلة سمعنا التسجيل



الذي يتحدث فيه إلى طاقم إذاعة صوت الحرية التي كان يمولها قائلا إنه لن يسمح لأحد في فتح أن يشارك حماس في الحكم وإنه سيمسخ قيمة كل فتحاوي يفعل .

كان ذلك إعلانا واضحا منذ اليوم الأول بأن ما جاءت به الانتخابات مرفوض وأنه سيتعرض لمحاولة الانقلاب عليه . ومبعث ذلك هو كراهية متأصلة للديمقراطية في نفوس هذه النوعيات من الناس ، وأيضا أن الرجل استنتج أنه لم يكن ممكنا لأحد غير القوة العسكرية التي شكلتها حماس في هدوء وتكتم ودأب أن تتصدى لعملية التخريب الواسعة التي طالت المجتمع في جميع مؤسساته الرسمية والأمنية والأهلية .

# ما نفع سور السرايا ؟!

ننتقل إلى المرحلة التي عمد فيها الرئيس عباس لإصدار مرسومه الشهير بتعيين دحلان مستشارا أمنيا وأمين سر مجلس الأمن الأعلى وفوضه في ( إعادة صياغة ) الأجهزة الأمنية في قطاع غزة .

آنذاك بات واضحا أن هذه الخطوة مقدمة لشيء على الأرض تقشعر له الأبدان . ورافقها توسيع في نطاق قوات حرس الرئاسة واستيعاب لمتطوعين جدد منتقين فيها ، وإحالة قائد قوات الأمن الوطني على المعاش مع تعيين قائد جديد . وإيفاد شبان من شبيبة فتح لتلقي تدريبات عسكرية في بلدان عربية مجاورة .

وفي فترة سابقة قليلا لفت أنظار أهالي غزة ذلك السور الطويل العريض من الخرسانة المسلحة الذي أنشئ حول مبنى السرايا وتكلف إنشاؤه مبالغ طائلة . وهو إجراء لم يفعله من قبل لا البريطانيون في عهود الثورات الفلسطينية الأولى ولا الإسرائيليون في زمن المقاومة والانتفاضات .. على الأقل لأن الفكرة في حد ذاتها سخيفة بقدر يفوق التكاليف الباهظة التي أنفقتها الحكومة من موازنة فقيرة لشعب فقير . فإذا كان أعداء الأمن سيصلون إلى أسوار السرايا فمعنى ذلك أن قدرتهم على تجاوز السور لن تعرقلها مادة السور ولو كانت من الفولاذ المصبوب .

ولوحظت عودة كوادر فرقة الموت الذين كانوا قد غادروا البلد لدى تشكيل وزارة حماس ، فإذا بهم يستلمون دفة الأمور في مبنى الرئاسة . وانتشرت في البلد مفارز قوات الأمن وحرس الرئاسة . وتواترت الأنباء عن وصول كميات كبيرة من الذخائر وبعض الأسلحة المتطورة من الخارج إلى مخازن قوات الرئاسة وإلى السرايا . ووزعت على بيوت القادة قوات كثيفة من المسلحين الذين لم يقتصدوا في إطلاق النار بلا مناسبة ، غير مبالين بالأطفال الذين سبق أن أفزعتهم طائرات إسرائيل في غاراتها وبات مشهدهم مؤلما كلما استمعوا إلى زخة رصاص .

ولعبت إذاعتان محليتان من إذاعات الـ ( إف إم ) أنشئتا خصيصا لمثل هذه المهمة ، دورا مقصودا في التهييج وحملات الكراهية ضد المجلس التشريعي



والوزارة وحركة حماس لكي تكون هذه الدعايات أرضية إعلامية للحرب الأهلية التي أعدوا العدة لها .

## في انتظار ساعة الصفر

ولم يعد أي مواطن في قطاع غزة يشك بأن دحلان يجهز لساعة صفر محتومة . وأن المسرح بات مجهزا لتلك الحرب المطلوبة أمريكيا وإسرائيليا . ولم يعد ينقص التفجير إلا قدحة شرارة أو ( صاعق ) كما هو اسمها العسكري .

وعمدت القوات التي يقودها من الخارج ــ وقد غادر القطاع في أحرج اللحظات بحجة الاستشفاء واستبدل حضوره الشخصي بالريموت كونترول عن بعد ــ للقيام بسلسلة من الاغتيالات المجلجلة . وأولى تلك الاغتيالات كانت بإطلاق النار على الشابين الصحفيين سليمان العشي ومحمد عبده التابعين لجريدة فلسطين اللذين أنزلا من إحدى سيارات الأجرة ــ لأنهما ملتحيان ــ واقتيدا إلى ثكنات حرس الرئيس وعذبا بشدة ثم قتلا . وثانيتها كانت اغتيال التاجر ناهض النمر المعروف بأنه من أنصار حماس الذي داهم المسلحون منزله في منطقة البحر وانتزعوه من وسط أسرته وابتعدوا به ثم قتلوه . وثالثها اغتيال الشيخ محمد الرفاتي إمام جامع العباس الذي داهموا بيته هو الآخر بجوار بنك الدم بالرمال وفي ظنهم أن يعثروا على أخيه علاء القيادي في حماس فلما لم يجدوه أطلقوا النار على ساقي الشيخ وحملوه على فرشة غير عابئين بأولاده الذين حاولوا إسعاف أبيهم . ولكن الخاطفين وضعوه في سيارتهم وذهبوا به ولم يعد إلى بيته حيا .

كانت عناصر التفجير إذن متوفرة منذ المقدمات الأولى . ولم يكن ينقصها إلا شرارة تصنع التفجير الكبير . وكانت هذه الاغتيالات الثلاثة المتعاقبة هي الشرارة المقصودة .ولم تتأخر ردات الفعل التي ردت بها حماس بعصبية . فإذا بالبلد تغرق في الدم بين عشية وضحاها . وإذا كان من غير المتصور طبعا أن تكون قيادات العمل العسكري في حماس فاقدة لخطة مجهزة تحسبا لمثل هذه الحالة ، لا سيما أنهم سبق أن تعرضوا للأذى الذي وصفناه سابقا ، وكانوا مصممين حتى الموت على أن لا يحدث ذلك ثانية . إلا أن من المبالغة إلى أبعد حد أن يقال إن مقاتلي حمـــاس استدرجـــوا القـــوات الرسمية للاشتباك بناء على خطة مدبرة . إن هـــذا

الكلام فرية متعمدة . وإننا ــ ونحن من أهل البلد ومن المستقلين الذين عاصروا ورأوا وسمعوا ــ نشهد أمام الله تعالى للحقيقة والتاريخ أن حماس التزمت موقف الصبر الطويل والجميل منذ القديم أي منذ السنة الأولى من ولادة السلطة الوطنية الفلسطينية حين استهلت السلطة عهدها من باب الإيفاء بمتطلبات اتفاقية أوسلو بحملة الاعتقالات الشاملة التي شاركت جميع الأجهزة الأمنية وفي طليعتها الوقائي بها واستخدمت فيها أساليب تعذيب يندى لها الجبين . وتناولت ( التحقيقات ) التي خضع لها المعتقلون نبش ماضيهم النضالي في الانتفاضة وإعادة التحقيق في عمليات قاموا بها ضد قوات الاحتلال . ولم يكن أثقل على نفوس هؤلاء المعتقلين من كون الذين يحققون معهم هم رفاق سلاح سابقين ، إلا اكتشافهم أن بين طواقم التحقيق بعض المشبوهين الذين سبق ردعهم للاشتباه بأنشطتهم ضد الانتفاضة. لقد كانت تلك محنة كبيرة في تاريخ الشعب الفلسطيني . وكم اعترض بعضنا على تلك الاعتقالات وكم طالبنا في المجلس التشريعي وخارجه بالإفراج عن المعتقلين . ولا أشك أن ما حدث في تلك البرهة المشؤومة وجد رد فعله في العنف الزائد الذي أبداه بعض الحمساويين في أحداث ١٣ و ١٤ حزيران والذي تحفظنا على وقوعه فورا آنذاك لأنه ظلم الأبرياء وأفلت منه الذين يستحقونه عن جدارة .

## ليت الرئيس تدخل !

رأينا مما سبق أن قطاع غزة غرق في فساد بالغ ، وانحراف في الأساس التحتي لمرحلة التأسيس ، وتغول قلة معينة من العسكر استطاعت أن تتغلغل في وحدات الحكم وتسيطر على المال والأعمال وعلى المجتمع ، وتزوير إرادة حركة فتح وانتحال صفتها التي يفترض حسب الظاهر أنها حزب الحكم والسلطة ، وتفكك اجتماعي شمل حتى أصغر الوحدات السكنية بما فيها الحارة والزقاق ، وتجلى مظهره لاحقا في انفلات شامل لحبل الأمن وفي حوادث قتل وخطف وحروب عائلات وعشائر دامية ، مع انتشار واسع النطاق للقيم السياسية والمسلكية الخاطئة لو أن الرئيس محمود عباس فاجأ الناس في بداية الاشتباكات ، أو حتى في منتصفها ، بــل وفــي نهايتها ، بتصريح يقول فيه إن الاشتباكات التي حدثت قد



تجاوزت أي حد متصور ، وأن الرئاسة لا تريدها ولا تؤيد القيام بها من قبل أي طرف وإنها تدين القتل والقتل المضاد وتربأ بزمن السلطة الوطنية أن يكون ساحة للحرب بين الإخوة ، وإنها ــ أي الرئاسة ــ لم تلجأ إلى التدابير الأمنية التي لجأت إليها إلا بنية المحافظة على الأمن والشرعية والسكينة العامة وعلى قدرها وأن ما عدا ذلك مرفوض . ثم لو أتبع هذا التصريح بالوصول إلى غزة لعقد اجتماع مع هنية لمراجعة الأمور ( فإذا صعب عليه الوصول إلى قطاع غزة استدعى هنية إلى القاهرة وجلس معه للحوار وللتفاهم أو على الأقل لتبادل المعلومات دون التراشق من بعيد ) .. لو أن ذلك قد حدث لأمكن إنقاذ الموقف قبل أن يسبق السيف العذل .

نحن على يقين أن الحسم العسكري الذي قامت به حماس يومي ١٣ و١٤ حزيران ٢٠٠٧ لم يكن انقلابا وإنما كان كما قلنا من البداية استباقا لانقلاب أوكل تنفيذه إلى دحلان وظهرت علاماته الأولى غير خافية . ولم يكن يخطر للناس في قطاع غزة أن يهرعوا لحماية أولئك الذين استعدوا للانقلاب . بل إن العسكر المحترفين : أعني ضباط وأفراد قوات الأمن الوطني ، وكذا كوادر وقواعد حركة فتح ، لم يخطر ببالهم قط أن المعركة القادمة تخصهم وأن ما يجري على يد جماعة حماس موجه ضدهم . لقد تشبعوا منذ سنوات بأن الوقائي أقرب إلى غرفة تجارية منه إلى جهاز أمن . ولم يكن أولاد الناس مستعدين ليكونوا جنودا من أجل ملايين فلان أو علان .

## ليس ضد فتح

ولم يخطر ببال أحد أن الحسم العسكري موجه ضد حركة فتح ولكن ضد الذين حكموا غزة من الباطن واستغلوا اسم فتح وراية فتح لصالح مشروع شخصي وغير وطني . فالناس كانوا عاتبين على فتح ولكنها ظلت في ضميرهم حركة تحرر وطني ذات تاريخ . وكانوا يفهمون حقيقة كون الوقائي جسما طفيليا يريد امتصاص دم الحركة التي شاخت .

لا .. لم يكن ما حدث انقلابا ولكنه كان ثورة حظيت بتأييد الغالبية . أما القلة التي لم تؤيدها فهي خليط من عنصرين : عنصر الذين كانوا مستفيدين من مملكة

الوقائي ، وعنصر الذين آلمهم وأوجعهم أن يحدث اقتتال بين إخوة وأن يطال العقاب شبابا اضطروا لحمل السلاح مع الظاهرة الانقلابية إذ انطلى عليهم طلاء الشرعية وكانوا أساسا في حاجة إلى راتب يتعيشون منه في هذه الرمادة الدائمة التي يحياها قطاع غزة . وكان التسجيل لأية دورة في جهاز أمني فرصة نادرة يترقبا دائما جمهور ضخم من الشباب العاطلين عن العمل ليصبح للشاب من هؤلاء راتب يستطيع معه أن يتزوج ويؤسس له حياة ولو في الحد الأدنى .

قليل من الناس يعرف الضراوة المعتادة للحروب الأهلية . وقد رأينا عينة منها في لبنان ، وقرأنا عن عينة أخرى في رواية كازانتزاكيس ( الإخوة الأعداء ) . ولكننا جميعا لم نطق ما سمعناه من قصص في قطاع غزة . وجميع الناس يشاطرن حزن جميع العائلات التي فجعت بخسارة أبنائها في الأيام التي نشير إليها . وقد دعا البعض سابقا وما زالوا يدعون بعد مرور عام إلى مصالحة مع تلك العائلات المكلومة وإلى التعويض عن الموت وعن الإصابة . وأهم من ذلك كله يجب الحرص على تلقين المقاتلين من جميع الفصائل فكرة الرحمة وعاطفة الحب لشركاء الهم والجوع وهجرة الـ ٤٨ وعدوان الـ ٥٦ ونكسة الـ ٦٧ والإغارات البرية والغارات الجوية في كل زمان وكل حي وشارع . وكفى الفلسطينيين على اختلاف ألوانهم هما ونكدا أنهم تعرضوا للسجون أحيانا وللاضطهادات والتعذيب وسوء المعاملة من قبل سلطات الحدود والمطارات في كل مكان دائما دون ذنب ولا جريرة إلا أنهم فلسطينيون. فتوفير الدم الفلسطيني والاقتصاد في استهلاكه مبدأ مقدس أو هكذا يجب أن يكون .



# صفعة على قفا كوندوليزا

في الثالث عشر والرابع عشر من حزيران يونية ٢٠٠٧ ــ أي في مثل هذه الأيام من العام الماضي ــ نفذت قوات حماس التي نشأت وتدربت وتسلحت في السر ، خطة عملياتها ( الاحتياطية وفق ظني )، لتحول دون أخذ الجانب الآخر زمام المبادرة ولتجهض الانقلاب المجهز الذي بدأت أولى خطواته التمهيدية تظهر عمليا ولا يمكننا الجزم بأن ساعة الصفر لانقلاب دحلان كانت وشيكة جدا . فقد كانت ثمة قوات مرسلة للتدريب في الخارج لم تنه دوراتها بعد . إلا أنه لا يمكن في الوقت نفسه الجزم بأن موعد عودتها للقطاع كان سيغدو بمثابة إشارة البدء بالانقلاب . ومهما يكن فإن التعبئة الساخنة التي تلقتها عناصر الانقلابيين في غزة جعلتهم يتلمظون شوقا للمغامرة . وحسبوها ــ كما حسبها قائدهم الذي فضل أن يقودهم من بعيد ليضمن النجاة بجلده في جميع الأحوال ــ مغامرة سهلة بل ومضمونة . وكان هذا الخطأ المميت في التقدير يرجع إلى جهلهم بأنفسهم وبما يدور في خلد عساكرهم ، بقدر جهلهم بالخصم الذي استفزوه للنزال .

استمرت العملية يومين . وفي اليوم الثالث يوم ١٥ حزيران يونية كان كل شيء قد انتهى ــ بما في ذلك استسلام القوات الحدودية ــ .

ونحمد الله أنها لم تستغرق أكثر من ذلك الوقت . وإلا لكانت الخسائر أكبر بكثير ولكانت هناك حمامات دم مروعة . وقد كتبت بعد أن انتهى كل شيء آنذاك قائلا للقساميين إن إخوتهم الذين استسلموا أمامهم لم يستسلموا عن جبن وإنما عن عدم إيمان بقيادتهم . وقلت إن هؤلاء بالتالي كانوا شركاء في الانتصار السهل الذي تحقق . وكنت أرجو وأتمنى احتضانهم وتطييب خاطرهم عبر الاجتهاد بسلسلة مصالحات أهلية .

## شركاء الانتصار

فالمقاتل الفلسطيني لا يستسلم إذا كان مؤمنا بمعركته . وكل ما يمكن قوله هو أن أولئك المقاتلين عزفوا عن القتال ، وإن من قاتل منهم قاتل مضطرا ، وربما ظن بعضهم خطأ أن الاستسلام لا يليق بكرامة سلاحه

وعند احتلال مبنى الوقائي في تل الهوا بدا أن النظام الذي سهر الأمريكيون والإسرائيليون طويلا على دعمه وتوجيهه وإمداده والاعتماد على وجوده ضمن مخططاتهم ومشاريعهم قد تهاوى بأسرع من أية توقعات كان لهم أن يتوقعوها . ووقع الأمريكيون خاصة في حيص بيص لأن أمر الوقائي لم يكن يهم السي آي إيه وحدها وإنما بات من شواغل كوندوليزا رايس سواء أثناء رئاستها مجلس الأمن القومي الأمريكي أو أثناء استلامها وزارة الخارجية . فكان ما حدث صفعة على قفاها . وكان يمكن أن يطيح بمسؤول لو كان أضعف منها في إدارة بوش . وقد انبرى صبيها ديفيد ولش ( مساعدها لشؤون الشرق الأوسط ) يدافع عن عنوان خيبتهم كما هي عادة الأمريكيين بإرجاع سبب الخيبة إلى أموال أكثر كان يجب إنفاقها وأسلحة أقوى كان يجب إرسالها وخطوات أبكر كان يجب القيام بها ضد حماس حسبما نصح لهم ناصحهم الأمين وخبيرهم الميداني ! وكان دفاعهم عن خيبتهم ضروريا لهم لأن ما فعلوه كان نموذجا من نماذج أخطائهم وجرائمهم بحق أمريكا نفسها . وقد بدد مبالغ طائلة على أدوات غير نافعة . فضلا عن أنه أكد الفكرة المعروفة القائلة إن أمريكا تختار أدواتها في المنطقة العربية والإسلامية من بين النوعيات المجردة من القيم الوطنية والمناقبية ، المستعدة للاصطفاف ضد مصالح وطنها وشعبها .

## إرث ثقيل

وكنت من بين الناس الذين عرفوا وقدروا أن الإطاحة بدولة الوقائي لم تتحقق إلا رمزيا . لأن وراء الوقائي شبكات متعددة الاتجاهات في قطاع غزة : وأبرز ما يهم الإسرائيليين شبكة المعلومات التي كانوا ينالون ما ينالونه من حصيلتها وغلتها من خلال ترتيبات التنسيق الأمني . وذلك ما لا يمكن لأحد تعويضه ، مع أن للإسرائيليين شبكاتهم الخاصة التي يشرفون على تشغيلها مباشرة بأنفسهم والتي قد لا يعلم الأمن الوقائي نفسه شيئا عنها.



وكانت هناك شبكة أعضاء المجلس التشريعي وكبار الموظفين المرتبطين بالوقائي الذين له عليهم فضل التوظيف وفضل المنصب الكبير .

وكانت هناك شبكة الطلاب الذين صاروا مدراء ومدراء عامين في الحكومة وما زالوا محسوبين على اتحاد الطلبة أو جالسين على مقاعدهم الدراسية .

وكانت هناك شبكة رجال الأعمال الشركاء في صنوف التجارات العادية وغير العادية .

وكانت هناك شبكة مافيات الحارات والعائلات التي راحت تمارس أعمال قطع الطرق وسرقة السيارات وفرض الخاوات وتجارة المخدرات .

وكانت هناك شبكات اللصوص العاديين في المدن والقرى الذين وجدوا لهم حماة يهربونهم من طائلة القانون .

هكذا سادت البلد حكومة خفية تلتقي خيوطها عند دحلان وأبو شباك . وعندما يدقق الإنسان في حقيقة ذلك الوضع يكتشف أن انقلابا تدريجيا خفيا وتمهيديا كان قد أنجز على سلطة الرئيس والمجلس التشريعي القديم والقضاء والمحاكم والشرطة والأجهزة الأمنية الأخرى من أجل هدف واضح وهو ضمان بقاء دولة الوقائي متربعة على عرش السلطة .

وكان ذلك أخطر في حقيقة الأمر من الاحتلال الإسرائيلي المباشر ، لأن الاحتلال يستثير المقاومة والعنفوان ، ولأن عذر ضحايا المقاومة عندما يسقطون واضح . فهم يحظون بتعاطف الجميع . أما مقاومة مماليك الحكم الذين يجدون غطاءهم في الشرعية فأصعب كثيرا ، لأنهم ( منا وعلينا ) وقد لا يفهم الجميع الضرورة الماسة لمحاربتهم لأنهم لا يعرفون أسرار فسادهم في الأرض وخطورتهم على مستقبل البلد والأجيال القادمة

## الإطاحة بانقلابين اثنين

لم يكن ما فعلته حماس انقلابا ولكنه كان ثورة أطاحت بانقلابين : الأول منهما الذي أمسك الأمن الوقائي من خلاله بالسلطة الحقيقية فلم تعد بقية المؤسسات والشخصيات إلا واجهات وفترينات . والثاني الذي كان جاريا إعداده منذ صدور مرسوم تنصيب دحلان مسؤولا عن جميع القوات وأجهزة الأمن في قطاع غزة .

أراد الحنان المنان أن يتدخل بإحدى طرقه الإلهية لإزاحة ذلك العارض عن قطاع غزة المنكوب ، لأن الوعد الحق الذي أخبرنا عنه الرسول الكريم أبلغنا أن هذه الأرض أرض رباط ، فهي إذن لا بد أن تتلقى من العناية الإلهية ما يعينها على مهمة الرباط المقدرة عليها .

فما هو المحتوى الذي اشتملت عليه هذه الثورة ، وما هي وظيفتها بعدما أطاحت بالانقلابيين وانقلابهم ؟؟

كنا ننادي في المجلس التشريعي منذ عام ١٩٩٥م بضبط الأمور التي بدا أنها تصبح خارج سيطرة القانون . ولكننا في عام ٢٠٠٢ م رأينا أننا كنا ننفخ في قربة مقطوعة فلم نجد بدا من نقل الموضوع ووضعه بين أيدي الشعب الذي انتخبنا فأصدرنا نشرة مكتوبة مفصلة بعنوان (( إصلاح السلطة الوطنية بين كيد الأعداء وسوء الأداء )) ووزعناها مجانا بعدما نشرناها في شهر أيار مايو على حلقات في جريدة الحياة الجديدة التي تصدر في رام الله.

لخصنا آنذاك مطالب الإصلاح في ستة مطالب :

الأول ــ الفصل بين اجتماعات المجلس التشريعي واجتماعات الوزارة .

الثاني ــ تشكيل وزارة تكنوقراط ( متخصصين ) بدلا من وزارات المجلس

الثالث ــ محاكمة الذين أساؤوا استخدام المال العام .

الرابع ــ إعداد تقرير مسحي شامل يكون أساسا للإصلاح الإداري .

الخامس ــ إعادة تشكيل الإدارة ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب

السادس ــ إحالة جميع الموظفين الزائدين على الضمان الاجتماعي .

وأعتقد أن الحاجة ما زالت قائمة اليوم لمجمل هذه المطالب . ولكن تجربتنا مع الأجهزة الأمنية بخاصة في الفترة التي أعقبت استشهاد الرئيس ياسر عرفات رحمه الله ، وحالة الحصار المطبق التي فرضها على قطاع غزة الاحتلال ومجتمع الدول القريبة والبعيدة ، ومواجهة الحكومة التي أفرزتها الانتخابات العامة بالعزل والمقاطعة والتجاهل .. ثم التهديدات المتوالية باحتلال قطاع غزة عسكريا .. كل ذلك أوجد وضعا شاذا وطرح على كل مهتم بالشأن العام قضايا غير مسبوقة .



## في مواجهة الجوع والحصار

**أولا** : إن الإغلاق الكامل والحصار المطبق على قطاع غزة ، تدرج من منع إدخال مواد العمران والبناء والأدوية والأجهزة المستخدمة في المستشفيات وغير ذلك من المواد الضرورية ، إلى التلاعب بالمواد التموينية الأساسية ، وتقنين كميات البنزين والسولار والغاز المباعة إلى قطاع غزة وخفض كمياتها تدريجيا لإحداث أزمة ( بل في الواقع أزمات ذات أوجه متعددة ) وإدخال الجمهور في حالة ضائقة متكررة ومتزايدة .

**ثانيا** : إن الإغلاق والحصار الكامل شمل في ما شمل القطيعة بين الرئيس وجماعته من ناحية وبين وزارة غزة المقالة والمجلس التشريعي من ناحية أخرى . وقد جرى تصوير ذلك على أنه مواجهة بين حركة حماس وحركة فتح ــ الأمر الذي أصفه بأنه مفتعل تماما لأن دولة الوقائي في غزة لم تكن دولة فتح أساسا ــ . ولأن حركة فتح في قطاع غزة قائمة وتمارس أنشطتها بأكثر مما تمارس حركة حماس أنشطتها في الضفة الغربية .

**ثالثا** : في ظل الحصار والعزلة والقطيعة التي يتعرض لها قطاع غزة تطال الآثار السيئة المليون ونصف المليون فلسطيني المقيمين في القطاع بدرجات مختلفة ولكن لا أحد ينجو من بعض الآثار ولو عن طريق استنشاق دخان الزيت المستخدم بديلا للبنزين والسولار وقودا للسيارات .

لقد استنزفت الضائقة وآثارها الموارد القليلة للبلد ، والمال الشحيح بيد الأفراد ، والصحة المعتلة أصلا جراء تمرير مواد تموينية فاسدة عبر المعابر وشرب المياه غير الصالحة للآدميين ..الخ .

**رابعا** : هناك سؤال مطروح من وراء هذا الحصار التمويني من ناحية ومصادرة حركة البشر من ناحية أخرى والقطيعة السياسية من ناحية ثالثة : هل هذا الحصار الدولي بمعنى الكلمة ، الذي تقوده إسرائيل وأمريكا وأوروبا وتشارك فيه دول عربية هو حصار بهدف الضغط على حماس لتتخذ منحى تفاوضيا تنازليا ؟ أم أنه

مجرد تمهيد لضربة يريدونها أن تطيح بحكم حماس بعد إدخال حماس في تضاد مع حاجات الناس الحيوية وبالتالي حرمانها من تأييدهم بتاتا عندما تتلقى الضربة ؟ ما زال الجواب على هذا السؤال معلقا . وكان المفترض أن وساطة مصر في المفاوضات غير المباشرة بين إسرائيل وحماس خلال شهر أيار مايو ٢٠٠٨ سوف تؤدي إلى إجابة . إلا أن إسرائيل الرسمية التي وافقت على الوساطة وعلى التداول والأخذ والرد عادت فقالت على لسان وزير الحرب إنها تريد توجيه ضربة إلى قطاع غزة قبل التهدئة ! وظل جواب السؤال معلقا إلى أن يجلوه يوم قادم .

والموقف الأمريكي من حماس قد يكون الموقف ذاته من جماعة الإخوان المسلمين في المنطقة العربية . هل تتمثل سياسة الولايات المتحدة في التعامل الإيجابي مع حقيقة وجود هذه الجماعة وأسلوب أدائها السياسي في نطاق المعارضة ؟ أم أن كل ما في الأمر أن الولايات المتحدة سكتت وراقبت عن كثب انتظارا لاتخاذ قرار قد ينسجم مع براجماتيتها وواقعيتها بقبول الإخوان حزبا سياسيا يمكن التعامل معه ولو وصل إلى الحكم ..؟ أم أن القرار سيكون بمثابة تجاوب مع الرغبات والأهداف الإسرائيلية التي لا تتوقف عن إثارة ميول صليبية لدى غلاة الإنجيليين المحافظين الجدد الذين كانت سياساتهم في باطنها حربا على جميع المسلمين معتدلين ومتطرفين بل وأوعزت بمهاجمة القرآن الكريم وعقيدة الإسلام .



# طرف صغير ليس في جيب أحد

لا يمكن لحكم وطني فلسطيني أن ينساق وراء إملاءات تطلب منه الانخراط في تنسيق أمني مع الإسرائيليين . فالتنسيق الأمني معناه ببساطة قيام أجهزة الأمن الفلسطينية بالوشاية على مواطنيها وترك المخابرات الإسرائيلية تنتقم منهم بوسائلها التي يعد استخدام طائرات التجسس وصواريخها الموجهة واحدا منها .

ليس في حوزتنا إحصاء بعدد القادة والكوادر العسكريين من مختلف الفصائل الذين اغتالتهم صواريخ الطائرات مكتومة الصوت في قطاع غزة . ولا تستطيع الجهات التي دأبت على التنسيق الأمني أن تبرئ نفسها من جناية المشاركة في تلك الاغتيالات ، إن لم يكن لأن المعلومات التي كانت تقدمها في اجتماعات التنسيق الأمني تسببت أو ساعدت أو سهلت ذلك ، فللسبب البديهي الآخر : وهو أن أجهزة الأمن مطالبة بالبداهة بحماية أمن مواطنيها فتلك حصرا هي مهمتها . ولكنها لم تفعل شيئا إزاء استمرار عمليات الاغتيال خلال مدى زمني يقارب عشر سنوات ولم تضع يدها على أية شبكة من الشبكات التي تمد غرفة عمليات العدو بالمعلومات الدقيقة عن السيارة أو الدراجة التي يمتطيها كادر خارج من بيته ، فيتم اصطياده خلال دقائق معدودة من صاروخ تحمله طائرة صامتة !

لا نجهل أن المخابرات الإسرائيلية ملكت من المعلومات عن الأحياء والشوارع والأزقة والبشر شيئا يسهل عليها عملها ومن ضمنه تقسيم المساحات الصغيرة أصلا إلى إحداثيات أصغر ، في خرائط أوضح تفصيلا توضع تحت تصرف قاذفات الصواريخ والمدافع فتحقق نتائج دقيقة وخاصة مع التقدم الهائل في أدوات التوجيه الإلكتروني ، وأن الجيش الإسرائيلي ملك من الأسلحة والوسائل الفنية القتالية ما لا مثيل له في العالم إلا عند القوات المسلحة الأمريكية . ولكن التعليمات التي تغذي النظام والتي تبدأ دورة العمل والتي لا غنى للإسرائيليين عنها هي ( الإخبارية ) التي يرسلها العميل الأرضي من قرب الهدف ، وذلك من خلال ( وسيلة اتصال ) معينة مفتوحة على مدار الساعة أو على مدار ساعات معينة .

وإن استمرار عمليات التجسس وإرسال البلاغات بواسطة الرقابة الأرضية التي يقوم بها الجواسيس على نحو أو آخر معناه أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية التي أنفقت الملايين والتي شغلت نفسها بالتجارة والبزنس وبأحلام السلطة وبالتنسيق الأمني مع العدو وبالتقارير متعددة النسخ إلى الأجهزة الإقليمية المتعددة فشلت وعجزت عن القيام بأول وأهم واجب من واجباتها ، وهو الحفاظ على أمن مواطنها دافع الضرائب الذي يفترض أنها تخدمه . وذلك وحده كفيل بطردها من الوظيفة إن لم يكن محاكمة قادتها أيضا .

ما تزال الأمور في الضفة الغربية جارية على مبدأ التنسيق الأمني الذي صار له الآن شكل آخر : هو وجود جنرال أمريكي على رأس أجهزة الأمن جميعا ، له مكتبه الخاص في مقر الرئاسة ، أشبه بمرجع أعلى في كل ما يختص بالأمن والشرطة والأجهزة السرية . ولهذا الجنرال نفوذه على كل شيء . فهو رقيب على الإعلام . وعلى التصريحات السياسية . وهو بالأحرى وكيل إسرائيل على المستوى الميداني في الضفة الغربية .

وهنا نتوقف وقفة قصيرة لنتأمل الرأي في منطق هذه الفئة من القادة الذين سلموا الأمور كلها للأمريكيين وأراحوا رؤوسهم من المقاومة ؟! فالمشكلة من وجهة نظرهم أن الفارق في ميزان القوى بيننا وبين أعدائنا فارق جسيم فلا مجال لقياس قوتنا إلى جانب قوتهم . والمشكلة الثانية أننا محاصرون بحكم الجغرافيا نفسها منذ حرب عام ١٩٦٧ التي عزلت قطاع غزة عن مصر من وراء صحراء سيناء وعزلت الضفة الغربية عن الأردن من وراء النهر . أي أن إسرائيل ممسكة بخناقنا ، وبوسعها أن تشد أو ترخي كما تشاء وبما يناسبها ، وتجبر أي صاحب قرار أن يأخذ هذه المعطيات بالحسبان ، فلا يقفز عنها ولا يتجاهلها .

هذا هو منطقهم . ولكن للقط الذي يحشر في الزاوية ــ وهو مجرد قط ــ موقفا آخر في وجه مثل هذا الحشر . فليس معنى الفارق في ميزان القوى ولا معنى واقع الحصار أن القرار الوحيد الممكن هو الاستسلام وتسليم مقاديرنا لعدونا .

ففي الوقت الذي تدعونا فيه الحكمة للتمعن في حالنا وأخذ موقفنا بالحسبان وتقدير موقفنا جيدا فلا نتكلم ونجعجع بما يخرج عن طاقتنا وإمكاناتنا . فإن هذا يحتم ربما



أن نتواضع في مطالبنا وأن ندير الصراع بأسلوب لا يضعنا دائما تحت طائلة إجراءات الخنق القصوى . ولكن في جميع الحالات علينا أن لا نسلم جبهتنا الداخلية لأحد ولا نسمح له بالإمساك بزمام مجتمعنا . فتسليم الجبهة الداخلية هو الهزيمة النهائية القطعية التي لا يعود لنا كبشر أحياء أي معنى بعدها . وتسليم بعض مواقعنا في داخل جبهتنا طلبا للسلامة يؤدي بنا إلى عكس السلامة . إنه يؤدي إلى الطوفان .

علينا أن نخوض معركتنا ونبذل فيها النفس والنفيس ــ مهما كانت قاسية ــ لإرغام الطرف المقابل أن يتعامل معنا بوصفنا طرف موجود وواقف على قدميه .. طرف صغير ، نعم .. طرف محدود الإمكانيات ، نعم .. أما أن ينوب عدونا منابنا وأن يجعلنا طرفا لاغيا ويضع قرارنا في جيبه ، فلا .. ولا .. ولا !

## نحن لا نقاد مغمضي العيون

إنني واحد من أهالي هذا القطاع الذي كتب عليه هذا القدر الصعب ، ولست من حماس . والناس في قطاع غزة ليسوا ممن يسهل قيادهم ولا ممن يقادون مغمضي الأعين . ولكنهم يفهمون أن حماس تعرضت منذ الوهلة الأولى ــ وتعرضوا معها ــ لعقابيل ثلاث صعوبات جسيمة دفعة واحدة : قلة الخبرة ، والحصار المطبق المعادي من كل ناحية ، والمؤامرات الداخلية في الصراع مع رام الله التي أوكلت إدارة المؤامرات من هناك لكوادر الوقائي شركاء دحلان . وقد بالغ هؤلاء في تحميل بقايا أتباعهم في القطاع ما ظنوا أنهم قادرون على الإيعاز به إليهم بواسطة الهواتف النقالة من بعيد . وعرضوهم بذلك لحملات العقاب القاسي . وتسببوا في إجراءات بوليسية وبنية بوليسية استطاعت أن تكتشف المؤامرات التي تحاك وتمسك بالخيوط بسرعة قياسية . فالقطاع صغير المساحة ومزدحم وجميع الناس تعرف جميع الناس . وما كان الضمير الوطني الفلسطيني في القطاع لينحاز على كل حال إلى الذين فرضوا الحصار ولا إلى الذين أوكلت إليهم رام الله زرع المتفجرات في السوق وإطلاق النار على سيارات الشرطة .. ولا .. ولا .. وكان أقرب إلى ضمير الناس أن يعذروا حماس على قلة خبرة جهازها الحاكم وعلى آثار الحصار القاتلة من أن يعذروا بقايا الوقائي في غزة على محاولات زرع

العبوات في التجمعات البشرية . فمع أن لحماس سلبياتها فإنها على الصعيد الآخر وضعت الناس بصمودها المكلف والمتطلّب أمام اضطرار يصعب الخروج عليه . وهي قد خاضت هذه المعركة حتى الآن . ونحن نتجاوز الشكليات والألوان الحزبية ونذهب إلى الجوهر ونقول : إن حماس الفلسطينية هي التي استلمت راية ياسر عرفات الفلسطيني في ما يخص الإصرار على الموقف وعلى الوجود وعلى الصمود . وما سجنها في غزة وسجن المليون ونصف المليون معها إلا تكرارا لسجن ياسر عرفات في المقاطعة برام الله . وآنذاك لم يكن عرفات يحارب معركته الأخيرة وهو يضع أمامه هدفا كبيرا هو التحرير ، ولكنه كان مصرا على أنه الطرف صاحب الكلمة الهامة التي لا تقال إلا بحقها وليس إرادة لاغية مبتلعة في بطن الأقوياء .

المعطيات الحاضرة : في فلسطين ، وفي ما كان يعرف بدول الطوق ، وفي الأمة عامة ، لا تساعد على التحرير . ولكن الفلسطينيين مطالبون بالثبات وبعدم تسليم أنفسهم لعدوهم مقابل لقمة مغمسة بالعار . وعلى العدو أن يرى نفسه مضطرا للتعامل معهم لأنهم فرضوا أنفسهم عليه وهو بحاجة إلى تحييد أذاهم على الأقل وله مصلحة في هذا .

## الضمانة الوحيدة

لقد كانت العملية السياسية التي أنشأت السلطة الوطنية الفلسطينية ثمرة نوع من المصالح المشتركة المتقابلة : منظمة التحرير تريد العودة ومغادرة دول المنفى ، والإسرائيليون يريدون تحييد المنظمة ووضعها تحت نظرهم مباشرة وكف أذاها . غير أن الإسرائيليين عملوا بدأب على تصوير العملية على أنها فضل ومنة منهم وتضحية من أجل السلام . وتنكروا مباشرة لمعظم النصوص التي تتيح للكيان الفلسطيني الوليد أن يتنفس . ومع أن ضمان الوحدة الإقليمية بين الضفة والقطاع وفتح المعبر الآمن من أجل تحقيقها كان على سبيل المثال واحدا من النصوص الرئيسية في الاتفاقية الانتقالية ، فإن إسرائيل ظلت تراوغ بشأنها حتى انقضى الزمن وماتت الاتفاقية . وفي الوقت ذاته كانت إسرائيل متشددة في شأن النصوص التي تعمل لصالحها . فبمجرد أن وضعوا كوادر منظمة التحرير في القفص



تجاهلوا مسألة قوة الردع المتوفرة للجانب الفلسطيني وقدرة الفصائل الفلسطينية على حرمان إسرائيل من النوم وإحداث الشلل في مشاريعها الاستيعابية .

هذه تجربة ماثلة ومفهومة ، لا عند حماس وحدها ولكن عند الفلسطينيين كلهم . ولذلك فإن الضمانة الوحيدة لقيام إسرائيل بتنفيذ التزاماتها في أي اتفاق وعهد هي قدرة الضغط عليها هنا في فلسطين ، لا بواسطة الدول الكبرى والمحافل الدولية .

والخلاصة أن الوضع الفلسطيني يفترق اليوم عند هذه المسالة : هل ميزان القوى الحالي بين إسرائيل والفلسطينيين يحتم على المفاوض الفلسطيني أن يستسلم للإرادة الأمريكية المسخرة إسرائيليا والتي ترسم الحلول وتطلب منا التوقيع عليها ؟ أم أن للفلسطيني بديلا في المقاومة بشتى أشكالها وأن لديه فرصة للوقوف موقف الندية في ما يخص مصيره فوق ما تبقى من أرضه ؟

حاولت حماس أن تحدد حدود المرونة والتنازل الذي يمليه ميزان القوى الراهن بأن تجاوبت مع المشروع المصري للتهدئة وشروطه ، ومعنى التهدئة تعهد حكومة حماس بوقف إطلاق الصواريخ والرقابة على الفصائل في الإيفاء بمقتضى موافقة الفصائل على المبادرة المصرية للتهدئة وما تضمنته من شروط . وفي مقابل ذلك يحصل قطاع غزة على الأمن وفتح المعابر ووقف الحصار . وتتهيأ له فرصة لالتقاط الأنفاس .

إنها هدنة باختصار . وقد تطول الهدنة عشر سنوات مثلا ، وقد لا تطول . ويتوقف الأمر غالبا على الإسرائيليين الذين تبدو الحروب بالنسبة إلى قادتهم حاجة وجودية وعادة درجوا عليها ووظيفة في خدمة سياسات أمريكا في المنطقة . أما الفلسطينيون فلديهم عمق استراتيجي معنوي يمنحهم نفسا أطول يتمثل في التغييرات التي ستشهدها المنطقة العربية والإسلامية على ضوء المقاومة البادية في كل مكان من المنطقة .

عند هذا الحد نقول إن ثورة لا شك فيها تحققت في منطق المواجهة السياسية . فلا رجوع لرجال السي آي إيه إلى قلب مبنى الوقائي ومبنى المخابرات ، ولا تنسيق أمنيا ، ولكن هناك التزاما بموجب وثيقة ما بتحقيق الأمن المطلوب على الجانبين دون السماح للإسرائيليين أن يلعبوا داخل الساحة الأهلية الفلسطينية . ونسميها

ثورة لأنها لا شك تعبر عن رغبة الشعب العربي الفلسطيني وعن قضيته الوطنية وعن كرامته القومية .

# خلاصات

بدأت حماس في قطاع غزة خلال العام الماضي ثورة شعبية أنجزت شيئا من الأغراض التالية :

* إجهاض انقلاب عسكري كان يجري الإعداد له على قدم وساق ضد نتائج الانتخابات الديمقراطية والمجلس التشريعي وحكومة الوحدة الوطنية .
* إعادة الاعتبار للثوابت الوطنية وفكرة الحفاظ على الثوابت وشعاراتها .
* القضاء على حكم الطغمة البوليسية المتمثلة في قيادة الأمن الوقائي .
* وضع نهاية سريعة للتفلت الأمني من خلال توجيه ضربتها الصاعقة للأجهزة التي كان التفلت الأمني وسيلتها لتكوين الثروات ولتحقيق أغراض أخرى في صالح الاحتلال.
* وقف حالة التسيب القيمي والمعنوي وتغلغل فكر المافيات وقدوة المافيات القائمة على النهب باستخدام العنف والتهديد به وبالاغتيال والخطف وفرض الإتاوات على الناس بالقوة . وذلك بعدما اتخذت هذه الحالة بعدا محليا واسعا . وتجميد الدم في عروق مشاريع المافيات التي كانت قيد التشكيل في الخلايا الصغرى من المجتمع
* قطع الطريق على المطامح السياسية المغامرة لبعض المرتبطين بمخططات دولية معادية .



* إنهاء الزحف نحو الوظائف الرئيسة في الوزارات والأجهزة والمصالح الحكومية من قبل لون حزبي واحد وإتاحة المجال للآخرين للالتحاق بالوظائف العامة .
* إنهاء رقابة الأجهزة الأمنية على التوظيف الحكومي . وإناطة التوظيف بديوان الموظفين عن طريق إجراء اختبارات جدية .
* ضبط محاولات الانقلابيين الهادفة إلى تحريك بعض خلايا الأجهزة لإعادة تخريب حالة الأمن والنظام بواسطة التفجيرات والاغتيالات .
* إرساء نموذج أمني لا يعرف ولا يقبل هيمنة الأمريكيين والإسرائيليين على أجهزة الأمن بحجة التنسيق الأمني .

## أعداء الداخل وأعداء الخارج

وهذه الأغراض التي تحقق بعضها جزئيا وبعضها كليا لم تزل تحتاج إلى متابعة لإنجاز ما لم يتم إنجازه وهو القسم الأكبر ، بغية تجذير الإنجازات وقطع دابر القوى التي مردت على النفاق والتي تتربص الدوائر . فلم يكن متصورا على كل حال أن تتم إزالة آثار قرابة عشر سنوات من الحكم غير الرشيد .

غير أن هذه الإنجازات رافقها من الناحية الأخرى حال من الانقسام غير المسبوق على مستوى الحكم ومستوى القيادات السياسية ومستوى القواعد الشعبية في وقت واحد . وكان ذلك مصحوبا من ناحية أخرى بحصار جغرافي مطبق على قطاع غزة وعزلة كاملة للحكومة القائمة فيها . وكابد أهالي قطاع غزة طوال السنة الماضية ظروفا لا مثيل لها في العالم وعبر التاريخ إلا في ظروف الحروب والحصارات . فلما كانت المعابر مغلقة والإسرائيليون مسيطرين على السوق الاستهلاكية الفلسطينية ، فقد عمدوا إلى التحكم في الامدادات التموينية وسائر الحاجات الحيوية بما في ذلك الأدوية والتجهيزات الطبية ومواد البناء وخلافه .

ورافق هذه الأحوال أيضا قطيعة ما بين الرئاسة وبين وزارة الوحدة الوطنية التي صدر مرسوم رئاسي بإقالتها ، وشملت القطيعة العلاقة بين حركة فتح وحركة حماس ، وذلك في أجواء الشتم والتحريض والحملات الإعلامية عبر الصحف والفضائيات .

## بشائر مع التحفظ

وفي نهاية السنة التي انقضت جاءت البشائر من ناحيتين : الأولى دعوة الرئيس عباس للعودة إلى حوار وطني على أساس اتفاق صنعاء . وعودة الأمل بمصالحة وطنية بين شطري الضفة والقطاع وبين شطري حماس وفتح .

والثانية إقامة تهدئة عسكرية بين قطاع غزة وإسرائيل مع فك الحصار وفتح المعابر .

على أن وصف الأخبار المذكورة بالبشائر يجب أن يقترن بالتحفظ . فليس من السهل الوصول إلى المصالحة عبر الحوار الوطني مع وجود العديد من القوى المتجذرة التي تعادي مشروع المصالحة . فمنهم المتصلبون في الفريقين ومنهم الحاصلون في ظل الانقسام ومناخ الانقسام على مناصب لم يكونوا ليصلوا إليها في ظروف طبيعية ، ومنهم الانفصاليون العقائديون الذين لا يؤمنون بالوحدة الوطنية ولا بجدواها .

أضف إلى ذلك إسرائيل والولايات المتحدة اللتان تقوم سياساتهما أصلا على ضرب الأسافين وتجزئة القوى في المنطقة لتسهيل الاستفراد بكل قوة على حدة . ويضاف إلى إسرائيل وأمريكا عملاؤهما الذين لا يستهان بهم ولا بمواقعهم في الساحة الفلسطينية .

ولكن أخطر العوامل على مبادرة العودة إلى الحوار الشامل هو الضغط الذي قد يلجأ إليه المانحون بعد مؤتمر أنابوليس ( أصحاب الوعد بإمداد جانب الرئاسة بمبلغ سبعة مليارات وثلاثمائة مليون دولار على مدى عشر سنوات ) فليس بوسع المرء أن يطمئن إلى إمكان إقامة الحوار الشامل إذا عمد المانحون إلى التهديد صراحة أو ضمنا بوقف أقساط هذه المنحة إذا نفذ الرئيس عباس قوله ببدء الحوار . وإذا كنا نتجنب إبداء التشاؤم حول الأسباب التي أدت أخيرا إلى الإعلان عن مبادرة حوار ، مع وجود هذا ( الوعد ) المالي وإمكان استخدامه ضد الشروع في الحوار ، فإن تفاؤلنا يظل مشوبا بالحذر على كل حال .

وفرص الفشل تعادل فرص النجاح إن لم تزد عنها . فبالإضافة إلى الخشية من أن لا يبدأ الحوار أصلا ، فإن الخشية تظل واردة من عدم الاتفاق بسبب التصلب في



الشروط . وإذا تم الاتفاق وجرى التوصل إلى اتفاق فإن الخشية تظل واردة من عدم تنفيذ ما يتفق عليه . ولنا سوابق نحن الفلسطينيين والعرب في دفن أوراق الاتفاقيات بعد التوقيع عليها داخل أدراج المكاتب .

**ويهمنا اليوم بصورة خاصة أن نشير نحن أهالي قطاع غزة إلى الخشية من تصلب معين يدعو للتوجس في كلام الرئيس عباس عن ( عودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ١٣ ــ ٦ ــ ٢٠٠٧ ) .**

## نريد التعددية

ونستهل كلامنا حول هذا الشأن الذي يمس حياتنا مساسا وثيقا بالقول إننا نريد التعددية ونأمل أن تصلح حماس ما لها من أخطاء تحسب عليها في أجواء تنافس ديمقراطي بين فصائل العمل الوطني والإسلامي . ولا ننزه أحدا عن الخطأ ولا نزكي أحدا على الله .

ولكن هذا شيء والقول بأن ما جرى في غزة انقلاب وأن على حماس أن تعيد الأمور إلى ما قبل ١٣ ــ ٦ ــ ٢٠٠٧ شيء آخر مرفوض طبعا .

لقد قلنا منذ الأيام الأولى بعد ما حدث إن حماس قد استبقت انقلابا مجهزا للإطاحة بنتائج انتخابات المجلس التشريعي والحكومة الناجمة عنه . ولكن هذه الحقيقة التي يمكن لكل فرد في قطاع غزة أن يشهد عليها ، أهيلت عليها أكداس من الأكاذيب والدعاوى المضادة حتى بات مألوفا أن يردد إعلام إخواننا في رام الله عبارة : انقلاب حماس على الشرعية .. !

فمن هي الشرعية إذا لم تكن الغالبية التي أفرزتها الانتخابات ؟ ولماذا تنقلب حماس على كيان يضم حكومتها ومجلسها التشريعي ؟ أم أن الشرعية تتلخص وتتجسد وتتركز في شخص الرئيس ؟

إن الأصول القانونية الخاصة بالأنظمة الديمقراطية لا تدع مجالا للجدال بأن الأغلبية البرلمانية تملك من الشرعية قدرا لا يقل عما يملك الرئيس ، بل ربما كان لها الشطر الأكبر لأنها هي التي تشكل السلطة التنفيذية وهكذا تجتمع لها سلطتان من الثلاث بينما لا يملك الرئيس إلا سلطة إشرافية . فنظامنا الدستوري ليس نظاما

رئاسيا ولكنه خليط من الرئاسي والبرلماني . ونسبة الخصائص البرلمانية فيه تزيد على نسبة الخصائص الرئاسية .

فلنعزف عن الاستطراد في هذا النوع من الجدل ، لأننا نفهم على كل حال أن كلا من الرئيس والأغلبية البرلمانية لا يمكنه العمل دون الآخر . وإن آليات العمل تتكامل على يد كل منهما . ولكننا نعرب عن دهشتنا من كثرة فقهاء السلطان الذين هم على استعداد لإلباس أخطاء الحاكم ما تحتاجه من أثواب مزوقة ! وما لنا ندهش وقد كان بعض فقهاء السلطان لا يتورعون عن أن يفتوا في الدين شوارد الفتوى لمجرد إرضاء الحاكم ونوال عطاياه .

ولكن أمثالنا من المواطنين العاديين المستقلين كانوا معنيين بعدم نقض نتائج الانتخابات وعدم تأييد أي انقلاب خوفا من انتكاسة تعيد آليات الفلتان والتفلت والانفلات التي لم نكد ننتهي منها ونكحل عيوننا بمرأى انحسارها عن بلدنا ، بمجرد أن استلمت حماس الحكم وفرضت هيبة قواتها على كل متفلت .

فأين هو الانقلاب فيما فعلته حماس ؟ أهو في إنهائها تسلط بعض العسكر على البلد واحتكارهم كل شيء ؟ وتناغمهم مع الاحتلال وتعهدهم بتحقيق مصالحه ؟ أهو في وضعها حدا لعمليات الخطف وإطلاق النار كل ساعة وتشكيل عصابات جديدة كل يوم في الأحياء والعائلات ثم تركها تتقاتل بعضها مع بعض إلى ما لا نهاية ؟ أهو في إصرارها على أن أمن إسرائيل ليس شأنا توظف فيه الأجهزة الفلسطينية ولكنه شأن مرتبط وجودا وعدما مع أمن الشعب الفلسطيني . وإصرارها على أن تحقيق ذلك لا يأتي بواسطة اختراق المجتمع الفلسطيني استخباراتيا ولكن بواسطة التزامات متبادلة تنظم الصراع ؟ أهو في فرض النظام والأمن في الشوارع والأحياء ؟ أهو في الضرب على أيدي اللصوص والعصابات العابثة ومنع سرقات السيارات التي استفحلت في أيام دولة الوقائي ؟

لقد عمت الشكوى من جميع هذه المصائب التي حلت بمجتمعنا سابقا . ولا يمكننا نحن أهالي قطاع غزة إلا أن نتمسك وندعم ونحمي هذه الثورة التي قضت على نخر السوس في صميم حياتنا ومستقبلنا . والناس في قطاع غزة اليوم شهود على أن حكومة حماس قد صودرت فرصتها في تنفيذ البرامج التي وعدت الناس بها .



واستمر العداء لها والحصار ومحاولة إسقاطها منذ البداية حتى اليوم . وإذا كان بعض الناس قد ضاقوا ذرعا بالحصار الذي عانوه وقال قائلهم : الأولون كانوا لصوصا ولكنهم كانوا يأكلون ويطعموننا أما الآخرون فهم أمناء ولكنهم جاعوا وجوعونا وأدخلونا في الأزمات ..(بينما غمز البعض قائلا : جوعونا فقط!) فإن الأغلبية حافظت على قولها : لولا أن هؤلاء الناس على حق لما تحالفت عليهم كل هذه القوى بدءا بإسرائيل وأمريكا وانتهاء بعملائهما في الداخل والخارج . ولذا علينا بالصبر مهما كان مرا .

## المؤتمر السادس لفتح

واسم حركة فتح الذي يبقى عزيزا علينا لما سجلته من صفحات في تاريخ القضية كنت شخصيا من المساهمين فيها والعاملين في صفوفها يجب أن تعي ذلك وتملك الشجاعة للاعتراف بأن نموذج الحكم الذي أقامه باسمها الأدعياء في قطاع غزة كان نموذجا مسيئا ومدمرا وغير قابل للإصلاح . وفتح مطالبة بتنظيف نفسها من أولئك الذين بنوا دولة التنسيق الأمني والفساد المالي والأخلاقي والقيمي . ولعلها تفاجئ الناس بشيء من هذا عندما تنجح في عقد مؤتمرها السادس .

أما إذا كان المقصود بعودة الأمور إلى ما كانت عليه أن شخص الرئيس ومركز الرئيس يجب أن يكون مصانا ومحترما وله اعتباره الرمزي كي يكون عامل تجميع وتوفيق وضمانة للوحدة الوطنية فهذا هو الواجب . كما أننا نفهم السابقة منذ عهد الرئيس عرفات رحمه الله التي درجت على أن للرئاسة الصلاحيات الأعلى الخاصة بأجهزة الأمن والداخلية ، ونقر بها اليوم ونفهم مع ذلك أن التعددية السياسية تقتضي أن تكون تلك المرجعية تشاورية بحكم أن الحكومة هي المسؤولة أمام المجلس التشريعي بطبيعة الحال من خلال وزارة الداخلية .

## مؤلفات أخرى بقلم ناهض منير الريس

| | | |
|---|---|---|
| كلمة في الكيان الفلسطيني | رسالة سياسية | 1963 |
| حرب العصابات | ترجمة عن الإنجليزية | 1965 |
| عندما يزهر البرتقال | مجموعة شعرية | 1978 |
| حقيبة قائد اللواء | قصة للناشئين | 1981 |
| زيتون الرامة | قصة للناشئين | 1981 |
| أنشودة القسام وقصائد أخرى | مجموعة شعرية | 1982 |
| أوزان باسمة | مجموعة شعرية انتقادية | 1983 |
| ماذا ناخذ بالمفاوضات | كتاب سياسي | 1983 |
| رجال السياسة الأحياء في الكيان الصهيوني | كتاب سياسي | 1985 |
| غناء الى مدن فلسطين | مجموعة أغنيات شعرية | 1986 |
| فان جوخ | ترجمة عن الإنجليزية | 1989 |
| نظرات في هموم الوطن | كتاب سياسي | 1998 |
| ألف عدو خارج البيت | كتاب سياسي | 2000 |
| فلسطين في الزمن الحاسم | كتاب سياسي | 2005 |
| ممالك النارنج | شعر | 2007 |

### أقاصيص للأطفال والناشئين - المجموعة الأولى 1987

1- عرس في الغابة
2- في أوقات الفراغ
3- الفائز
4- نصف الحلم
5- ثوب من قوس قزح
6- الدرع والمكر
7- حسن وحسان يحبان الطيران
8- صعود الجبال
9- اليمامة والزهرة الصفراء

### أقاصيص للأطفال والناشئين - المجموعة الثانية 1989

1- الساحرة ودواؤها العجيب
2- حيلة الحجلة الأم
3- العقرب وأم أربعة وأربعين والحية
4- زلابية في الشتاء
5- خالد يقاوم الصهاينة
6- البطة والأرنب يفسدان حيلة الثعلب
7- الجدة وحفيدها الذي يشتهي كل شيئ
8- سوسن والقطة والحية
9- الجنيات الثلاثة في حقول الربيع
10- الحذاء السحري النطاط
11- سباق الأرنب والبطة
12- حوازير الأرنب والبطة